الحالة اللبنانية: استنزاف الموارد

عرضنا في الأعداد رقم 32 و33 و34 ثلاث حلقات من مقالة جواد عدره «الحالة اللبنانية». تحدّثت الحلقة الثالثة عن نظام استنباط السبل والتدابير. نستكمل في هذا العدد مع الحلقة الرابعة حول استنزاف الموارد.

الحلقة الرابعة (6/4)

بعد مرور 17 سنة على اتفاق الطائف، شهد لبنان خلالها ارتقاء رئيسين للجمهورية، وستة رؤساء للحكومة، وتشكيل 12 حكومة ضمّت 234 وزيراً، لا يزال النظام على حاله لكن مقابل ثمن باهظ للغاية، كالعنف، والهجرة...

أ. مسلسل العنف

منذ استقلال لبنان وهذا البلد يتخبّط في حلقة مفرغة من العنف كما هو مبيّن أدناه. قد يكون اللاعبون هم المتغيّر الوحيد في بعض الحالات، كما يظهر في الرسم 1 أدناه.

الرسم 1: مسلسل العنف والأزمات

1952-1943	بشارة الخوري	الثورة البيضاء - الاستقالة 1952
1958-1952	كميل شمعون	الحرب الأهلية المحدودة 1958
1964-1958	فؤاد شهاب	انقلاب 1962 ومحاولة استقالة
1970-1964	شارل حلو	استقالة كرامي - شلل وركود المؤسسات، بداية العمل الفلسطيني المسلح
1976-1970	سليمان فرنجية	المخيمات الفلسطينية والحروب الأهلية الشاملة 1975 إخراج فرنجية من القصر الجمهوري
1982-1976	الياس سركيس	إدارة الأزمات
1982	بشير الجميل	اغتيال
1988-1982	أمين الجميل	شلل دستوري
1989-1988	حكومة عون وحكومة الحص	شلل دستوري
1998-1989	الياس الهراوي	جمهورية الطائف - تعديل المادة 49 من القانون تمديد العهد 3 سنوات - الترويكا
2004-1998	إميل لحود	الإعلان عن مكافحة الفساد وعن الفشل الكامل في ذلك انسحاب الجيش الإسرائيلي جنوب لبنان
2005-2004	إميل لحود	تمديد 3 سنوات - القرار 1559 - اغتيال رفيق الحريري خروج الجيش السوري - مظاهرات ومحاولات عزل وطلب استقالة أو إقالة، قرارات دولية ووصايات

الحالة اللبنانية: استنزاف الموارد

لقد أُثقل كاهل لبنان بأعباء مسلسل العنف والأزمات هذا. فكان ثمن الحرب الأهلية (1975-1990) على سبيل المثال كالآتي:

- قدّر عدد القتلى بنحو 170-200 ألف قتيل.
- قدّر عدد الجرحى بـ 300 ألف، منهم نحو 50 ألف إعاقة جزئيّة و12 ألف إعاقة تامة.
- قدّر عدد المفقودين بعشرات الآلاف.
- أكثر من مليون مهجّر، واستمرّ نحو نصفهم مهجّراً حتى العام 1992.
- هجرة كبيرة اختلفت التقديرات بشأنها لكنها تجاوزت نصف مليون مواطن.
- انهيار قيمة الليرة مقابل العملات الأجنبية حيث وصل سعر صرف الدولار مقابل الليرة إلى 3,000 ليرة في العام 1992.
- نسبة تضخّم بلغت نحو 65%.
- تراكم عجز الموازنة العامة ممّا ولّد ديناً عاماً بلغ نحو 35 مليار دولار.
- خسائر ماديّة تجاوزت 30 مليار دولار: دمار كامل لأكثر من 10 آلاف وحدة سكنية؛ دمار جزئي لنحو 30,000 وحدة سكنية؛ تضرّر نحو 100 ألف وحدة سكنية أخرى؛ وتضرّر نحو 13,400 محلّ ومكتب.
- احتراق وتلف أكثر من 40 ألف سيارة وإصابة 70 ألف بأضرار متفاوتة.
- تقلّص المساحة الحرجية من 11% إلى 6%.
- التعدّي على الأملاك العامة، بما فيها الأملاك البحرية، وخسارة مليارات الدولارات نتيجة لذلك.

ب. الهجرة وهجرة الأدمغة

لقد شكّلت الهجرة سمة أساسية من سمات لبنان الحديث. ما من إحصائيات رسمية حول عدد المهاجرين اللبنانيين. فالدراسات المتوفّرة، مثل دراسة الدكتور رياض طبّارة، تقدّر عدد المهاجرين بنحو 100 ألف سنوياً خلال السنوات الأخيرة، في حين قدّرت دراسة أخرى أجراها الدكتور أنيس أبي فرح أن هذا العدد قد بلغ 2,325,131 في الفترة ما بين 1990-2000. غير أنّ الدراسة التي قامت بها «الدولية للمعلومات» قدّرت عدد المهاجرين بين العامين 1991 و2001 بنحو 200 ألف مواطن. وقد بيّنت الدراسة أن 82.6% من المهاجرين تتراوح أعمارهم بين 20 و44 عاماً، وأن أكثر من نصفهم هم من الخريجين الجامعيين. من عواقب ارتفاع معدّل هجرة الشباب على المدى الطويل تحوّل لبنان إلى مجتمع هرم[1] وأقل إنتاجية.

ج. النفقات المالية والدين العام

بلغت قيمة الإنفاق العام 77.42 مليار دولار في الفترة الممتدّة بين 1992 و2004. تمثّل فوائد الدين العام نسبة 35%، تليها نسبة الرواتب والتعويضات (23%)، ثم النفقات التشغيلية (16%). يجسّد الرسم البياني 2 توزيع النفقات خلال الفترة 1992-2004.

بلغت قيمة الدين العام 54,122* مليار ليرة لبنانية، تضاف إليه الهبات والقروض التي تسلّمتها الحكومة والتي تبلغ قيمتها 6,300 مليون دولار، ومستحقّات الحكومات لكلّ من القطاعين العام والخاص التي تبلغ قيمتها 4,659 مليار ليرة لبنانية. فتصل بذلك القيمة الإجمالية للدين العام إلى 68,231 مليار ليرة لبنانية، أي 241% من الناتج المحلي الإجمالي مع 80% نسبة فوائد أو 28,180 مليون دولار أميركي[2].

رسم -2- نفقات الدولة اللبنانية خلال الفترة 1992-2004

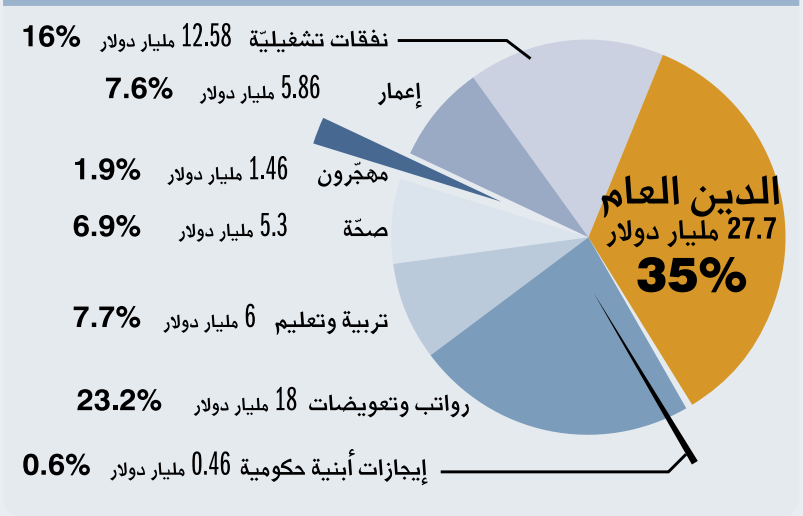

في العدد القادم الحلقة الخامسة: أمثلة عن الهدر والفساد

[1] النهار 2001 ص.12 عدد 26-27 تشرين الثاني
الدولية للمعلومات دراسة من واقع هجرة اللبنانيين

[2] أعدتها الدولية للمعلومات من الموازنة الرسمية

* 1 دولار أميركي = 1,508 ليرة لبنانية